أكثر من نصف قرن في محاربة "المرض الأشدّ فتكا بالإنسان"

البروفسور ابراهيم سلطي يستمدّ التفاؤل بالمستقبل من... التاريخ

رئيس قسم أمراض الغدد والسكري، وأستاذ محاضر في الجامعة الأميركية في بيروت، طبيب منذ أكثر من نصف قرن، حائز على أوسمة وجوائز تكرم من لبنان والعالم، مبتكر الطريقة الحديثة في معالجة داء السّكري القائمة على جعل المريض مشاركا في العلاج لا متلقيا فقط، المشرف على أوّل مختبر للهرمونات في الشرق الأوسط الذي تأسس في الجامعة الأميركية في بيروت، معلّم ومدرّب لأجيال من الأطبّاء... متواضع الى أبعد الحدود، لا يتكلّم إلا على طريقة ما قلّ ودلّ، صاحب الوقت الثمين والتفكير العلمي المميّز. إنّه البروفسور إبراهيم سلطي.

تخرّج البروفسور سلطي طبيبا عام ١٩٦٣ من الجامعة الأميركية في بيروت، ثمّ تخصّص في أمراض الغدد والسّكري في جامعة تورونتو في كندا موطن اكتشاف الأنسولين. التحق بقسم أمراض الغدد والسّكري في الجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩٧٠، قبل أن يترأسه منذ العام ١٩٩٣ وحتى اليوم. بدأ التعليم في الجامعة عينها عام ١٩٨١ وما زال، وقد شغل منصب نائب رئيس الجامعة من العام ١٩٨٧ الى العام ١٩٩٣. عضو في مؤسسات وجمعيات علمية عدة، منها الكلية الملكية للطب والجراحة في كندا، الكلية الأميركية للطب، الجمعية الأميركية لأمراض الغدد، الجمعية اللبنانية لأمراض الغدد التي ترأسها بين عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٤، الجمعية الطبية الأردنية، الجمعية الأميركية لأمراض السّكري منذ العام ١٩٩٥، الجمعية الأميركية للطب العيادي لأمراض الغدد منذ العام ٢٠٠٦، الكلية الملكية للطب في لندن... حائز على أوسمة وجوائز تكرم عدّة من لبنان والخارج بينها: وسام الإستقلال الأردني عام ١٩٩٢، وسام الأرز اللبناني من رتبة فارس في العام عينه، الميدالية الذهبية من الجامعة الأميركية في بيروت عام ٢٠٠٣، درع الشرف من نقابة الأطباء في لبنان عام ٢٠٠٣ أيضا، جائزة الطب العيادي من الجمعية الأميركية للطب العيادي لأمراض الغدد عام ٢٠١٣... وللبروفسور سلطي أكثر من ١٠٥ دراسات ومنشورات، بالإضافة الى أكثر من ٤٤ محاضرة في لبنان والخارج.

المرض الأشدّ فتكا

قضى البروفسور سلطي أكثر من نصف قرن في محاربة ما يسمّيه المرض الأكثر فتكا بالإنسان في هذا العصر ، وهو مرض السّكّري الذي يتفشّى بسرعة في أيامنا هذه أي في «عصر السرعة». فإنسان اليوم لا يمارس الرياضة - كما يقول- ولا يأكل الطعام الصّحيّ ويميل الى الخمول والكسل بسبب طبيعة عمله، وهي أمور تشكّل الأسباب الأولى للإصابة بداء السّكّري، بالإضافة الى الأسباب الوراثية طبعا... والمعركة ضد السّكّري تتوّجت مع ابتكار وتعميم الطريقة الحديثة لعلاج السّكّري، وهي تقوم على توعية المريض وتثقيفه حول أسلوب الحياة السليم، بغية جعله مشاركا في علاج نفسه، وليس متلقّيا للعلاج فحسب. وفي هذا الإطار نجح البروفسور سلطي في إنشاء برنامج تخصص تمّ من خلاله تدريب حوالي ٥٠ طبيبا على هذه الطريقة العلاجية الجديدة، في لبنان والدول العربية. كما أشرف على إنشاء مختبر حديث للهرمونات في الجامعة الأميركية في بيروت، هو الأول من نوعه في الشرق الأوسط. كلّ هذه الإنجازات لم تأت من لا شيء، ولكنّها مقرونة بالتعب والكثير من الصعوبات، ولكن البروفسور سلطي ينظر الى تلك الصعوبات من منطلق الثمن الطبيعي لأي نجاح، وهي لم تمنعه مع زملائه في الجامعة من تأمين استمراريتها رغم كل الصعوبات وفي أحلك الظروف، وبخاصة ظروف الحرب. وهذه النظرة العلمية المنطقية الى الأمور، ربما تكون سبب نجاحه في مهنته، ولكنّ السبب الأول لاختياره تلك المهنة، هي والدته التي يعترف بتأثره بها وبشخصها كسيدة جامعية في ذلك الزمن، ويقول أنّها هي التي شجّعته على دخول ميدان الطبّ. أمّا

صحتك... ثروتك

MATELEC GROUP

خلال الدراسة فقد تأثر كثيرا بأساتذته، سواء لجهة العلم أو الأخلاق أو معاملة المريض. أعطته رسالة الطبّ الكثير، كما يقول، من تقدير المرضى والطلاب واحترامهم له، ولم تأخذ منه إلاّ «محاولاته أن يكون معلّما ناجحا للطالب وطبيبا متفانيا للمريض.»

وبين أيام الدراسة وأيام ممارسة المهنة، اختلف الواقع. فالخدمات الطبية اليوم ذات كلفة عالية، قلّما يقدر عليها من لا ينتمي الى جهة ضامنة. كما أنّ وضع الطبيب تغيّر اليوم بسبب كثرة كليات الطب البالغ عددها ٧ في لبنان والتي تنتج تخمة من الأطباء. ولكن هذا الأمر لا يحول دون تبوّؤ لبنان أعلى المراتب على لائحة جودة الخدمات الصحية في العالم لجهة النوعية ومتابعة أحدث التطورات العلاجية.

متفائل رغم كلّ شيء

وانطلاقا من هذه القناعة، ينظر البروفسور سلطي الى لبنان نظرة متفائلة، ليس بسبب النخبة من الأطباء والطلاب يتعامل معها كلّ يوم، بل أيضا انطلاقا من نظرة الى التاريخ. فهو قارئ بامتياز وقارئ للتاريخ بشكل خاص. فالطبيب الفلسطيني الأصل المولود في القدس، لا يتشاءم بمستقبل لبنان والدول العربية، بل يراها سائرة الى الخروج من أزماتها لا محالة، عاجلا أم آجلا. «يكفي نظرة الى تاريخ الأندلس» - يقول- «لنتعلّم أن نتفاءل بمستقبل العرب، لأنّ التاريخ يعيد نفسه». وفي الإطار عينه يقول: «لا بدّ للدول العربية في يوم ما أن تسير على خطى الدول الأوروبية، وتصبح اتحادا عربيا على غرار الإتحاد الأوروبي.» ولكن قارئ التاريخ يرفض دخول عالم السياسة ليس يأسا من إمكان التغيير، ولكن لأن عالم الطب يتطلّب تفرّغا كاملا، وهو عالم يرفض أن يخرج منه الى أي عالم آخر.

مشكلة النّفايات في لبنان يعالجها كطبيب لا كسياسي، ويقول في هذا الإطار، إنها خطيرة على الصحة، ومعالجتها تبدأ باعتماد أساليب الوقاية قبل أساليب العلاج من آثار التلوّث. ولكن لا بدّ من الإشارة الى أنّ «أهل السياسة كان لا بدّ لهم من التفكير في الحلول قبل أن تبدأ المشكلة فعليا، أي قبل سنتين على الأقل من الآن.»

وبالإضافة الى التاريخ، يستمدّ البروفسور سلطي تفاؤله من مصدر آخر، وهو إيمانه بوجود العناية الإلهيّة، وهذا الإيمان يسكنه كإنسان وكطبيب، ويشير في هذا الإطار الى أن واجب الطبيب، هو المحافظة على حياة المريض حتى آخر لحظة، ومهما كانت الظروف. وكما في الإنسان المريض كذلك في الأوطان المريضة: «نعمل ما علينا، والباقي على الله...»

لارا سعد مراد

متفرقات

الاطعمة الحارة تساعد في اطالة العمر

ظهرت دراسة جديدة أجرتها جامعة هارفارد بالتعاون مع الاكاديمية الصينية للعلوم الطبية والتي نشرت في مجلة «BMJ» بأن تناول الأطعمة التي تحوي بهارات حارة يمكنها أن تساعد في إطالة العمر والحد من الأمراض المسببة للوفاة المبكرة.

واستخلصت الدراسة إلى أن الأشخاص الذين يتناولون الطعام الحار من ست إلى سبع مرات بالأسبوع، انخفضت نسبة وفاتهم المبكرة بنسبة ١٤ في المائة، مقارنة بالأشخاص الذين تناولوا الطعام الحار مرة أو أقل بالأسبوع.

إذ قام الباحثون من الأكاديمية الصينية للعلوم الطبية بجمع معلومات من مجموعة تبلغ نصف مليون شخص أتوا من عشر مناطق مختلفة بالصين، وتراوحت أعمارهم ما بين ٣٠ - ٧٠ عاماً، من عام ٢٠٠٤ حتى عام من ٢٠٠٨، وحلل الباحثون بعدها السجلات المتعلقة بوفاة ٢٠,٢٢٤ شخصاً بعد مضي سبعة أعوام.

وأشارت الدراسة إلى أن السبب من وراء الحصول على هذه النتيجة قد يكمن باحتواء البهارات أو الطعام الحار على عنصر اسمه «كابساسين capsaicin» وهو عنصر عنصر موجود بكثرة في الفلفل الحار، والذي ارتبط اسمه سابقاً بمواضيع صحية أخرى، مثل فعاليته بحرق الدهون. ويقول القائمون على الدراسة إن عنصر « كابساسين» يمكنه أيضاً أن يساعد بالقضاء على الالتهابات وتنشيط الكليتين والرئتين والقلب.
أضيفت إلى الدراسة فقرة تحريرية أشار فيها الباحثون إلى أن النتائج غير قاطعة، وإلى ضرورة البحث العلمي بتفاصيل هذه الدراسة، خصوصاً أنها دراسة نابعة من ثقافة واحدة ووجود العديد من المتغيرات الأخرى، مثل كيفية تحضير الأطعمة الحارة التي تناولها هؤلاء الأشخاص، إذ لم يتم البحث في ما لو ساعد الفلفل الحار على الإطالة بالعمر والحد من الأمراض إن أضيف لتوابل مفيدة أخرى. وفقاً لما أشارت إليه الأستاذ في جامعة كاليفورنيا، دافني ميلر.

كما قال الباحث البيئي والنفسي، جون هايز، إنه يحتمل وجود علاقة سلوكية لما يحصل، ويضيف بأن السعرات الحرارية التي يأخذها الشخص من تناول الطعام الحار يمكنها أن تمهد للتغيير في عمليات الأيض بتقليلها واستيعاب كربوهيدرات أقل من الطعام، وبالتالي الحصول على نظام غذائي صحي يمكنه أن يدعم طول العمر.
وأضاف هتيز بقوله إن هنالك فرق بين أن تأكل وجبة صحية متوازنة وأن يكون الطعام الحار جزءاً منها، وأن تأكل كميات كبيرة من الدجاج المقلي بالصلصة الحارة لتقنع نفسك بأنك تفعل ذلك لتطيل من عمرك.